الديمقراطية في الفكر الإسلامي المعاصر

■ لقد شغلت قضية الديمقراطية المفكرين السياسيين في العالم العربي منذ فجر النهضة العربية المعاصرة، أي منذ ما يقرب من قرنين من الزمان. وقد تغير مفهوم الديمقراطية وتعدل منذ ذلك الوقت تحت تأثير مجموعة متنوعة من التطورات الاجتماعية والسياسية.ولعل أول من أثار حوارا حول الفكرة الديمقراطية في العالم العربي هو الشيخ رفاعة الطهطاوي، الذي كان لويس عوض يطلق عليه لقب أبو الديمقراطية المصرية. وكان الطهطاوي (١٨٠١-١٨٧٣) بعد تخرجه من الأزهر قد أرسل إلى فرنسا إماما مرافقا لفرقة عسكرية ابتعثها محمد علي إلى هناك للتعلم والتدريب، فأحسن استغلال وجوده بالإقبال على تعلم العلوم الغربية بحماسة منقطعة النظير، فأتقن اللغة الفرنسية ودرس الفلسفة اليونانية والجغرافيا والمنطق، وقرأ مؤلفات رواد الفكر الفرنسي مثل فولتير وروسو. وما أن عاد إلى القاهرة حتى ألف في عام ١٨٣٤ كتاباً بعنوان "تخليص الإبريز إلى تلخيص باريز" دو ن فيه مشاهداته حول عادات ومسالك أهل فرنسا، وكال المديح للنظام الديمقراطي الذي نشأ فيها ووصف مشاعره تجاه انتفاض الأمة الفرنسية للدفاع عن الديمقراطية من خلال ثورة ١٨٣٠م ضد الملك تشارل العاشر. وحرص الطهطاوي على إثبات أن النظام الديمقراطي الذي كان شهده في فرنسا ينسجم انسجاما تاما مع تعاليم الإسلامي ومبادئه.

الدكتور/يوسف عبدالحميد

ومن الأعلام الذين كان لهم السبق في هذا المجال خير الدين التونسي، رائد حركة الإصلاح التونسية في القرن التاسع عشر، والذي كان عام ١٨٢٧ قد وضع خطة شاملة للإصلاح ضمنها كتابه "أقوم المسالك في تقويم الممالك". وبينما توجه خير الدين التونسي من خلال كتابه إلي سياسيي وعلماء عصره حاثاً إياهم على انتهاج كل السبل الممكنة من أجل تحسين أوضاع الأمة والارتقاء بها، فقد حذر من مغبة رفض تجارب الأمم الأخرى انطلاقاً من الظن الخاطئ بأنه ينبغي نبذ كل الكتابات أو الاختراعات أو التجارب أو التصرفات الناشئة عن غير المسلمين. وطالب التونسي بإنهاء الحكم المطلق المضطهد للشعوب والمدمر للحضارات، وسعياً منه لإنفاذ خطته الإصلاحية، أنشأ خير الدين التونسي المدرسة الصادقية لتعليم الفنون والعلوم الحديثة ضمن إطار القيم الإسلامية. وقد جاء في إعلان تأسيس المدرسة أن الهدف منها هو تدريس القرآن والكتابة والمعارف المفيدة، أي العلوم الشرعية واللغات الأجنبية والعلوم العقلانية التي قد يستفيد منها المسلمون شريطة ألا تكون مناقضة للعقيدة. وجاء فيه أيضا إنه يتوجب على الأساتذة أن ينموا في الطلاب حب العقيدة عبر إبراز محاسنها وتميزها، وعبر إخبارهم بأفعال النبي صلى الله عليه وسلم والمعجزات التي تحققت على يديه، وتذكيرهم بصفات الصالحين .

أما جمال الدين الأفغاني (١٨٣٨-١٨٩٧) فقد توصل بعد تقص لأسباب انحطاط المسلمين أن مرجع ذلك هو غياب العدل والشورى وعدم تقيد الحكومة بالدستور. ولذلك فقد رفع لواء المطالبة بأن يعاد للشعب حق ممارسة دوره السياسي والاجتماعي عبر المشاركة في الحكم من خلال الشورى والانتخابات .

وقد سار على نهج الأفغاني تلميذه محمد عبده (١٨٤٩-١٩٠٥) الذي رأى بأن أهم تحد يواجه الأمة الإسلامية هو نظرتها إلى العلاقة بين الإسلام والعصر. وفي محاولة للتوفيق بين المبادئ الإسلامية وبعض الأفكار الغربية اقترح عبده بأن مصطلح المصلحة عند المسلمين يقابل المنفعة عند الغربيين، وبأن الشورى تقابل الديمقراطية وأن الإجماع يقابل رأي الأغلبية. ولدى معالجته إشكالية السلطة، أكد عبده بأنه لا يوجد حكم ديني (ثيوقراطية) في الإسلام، معتبرا أن مناصب الحاكم أو القاضي أو المفتي مناصب مدنية وليست دينية. ودعا في هذا المجال إلى إعادة إحياء الاجتهاد للتعامل مع الأولويات والمسائل الطارئة والمستجدة على الفكر الإسلامي .

أم القرى

في نفس الفترة تقريباً، تألق نجم عبد الرحمن الكواكبي (١٨٤٩-١٩٠٣) الذي ألف كتابين حول هذه القضايا، الأول بعنوان "طبائع الاستبداد" والآخر بعنوان "أم القرى". في كتابه الثاني، تصور الكواكبي حواراً بين عدد من المفكرين ينحدرون من مدن مختلفة في العالم الإسلامي جمعهم في مكة المكرمة مؤتمر عقد خلال موسم الحج لتبادل الرأي حول أسباب انحطاط الأمة الإسلامية. ومن الأفكار التي حرص الكواكبي على طرحها ما جاء على لسان البليغ القدسي: "يخيل إلى أن سبب الفتور هو تحول نوع السياسة الإسلامية، حيث كانت نيابية اشتراكية، أي ديمقراطية تماماً، فصارت بعد الراشدين بسبب تمادي المحاربات الداخلية ملكية مقيدة بقواعد الشرع الأساسية، ثم صارت أشبه بالمطلقة، وما جاء على لسان الرومي: "إن البلية أن فقدنا الحرية". ويخلص الكواكبي في النهاية إلى أن التقدم مرتبط بالمحاسبة بينما التخلف مرتبط بالاستبداد .

أما محمد رشيد رضا (١٨٥٦-١٩٣٥) فرأى أن سبب تخلف الأمة يكمن في أن المسلمين فقدوا حقيقة دينهم، وأن ذلك مما شجعه الحكام الفاسدون، لأن الإسلام الحقيقي يقوم على أمرين: الإقرار بوحدانية الله، والشورى في شؤون الدولة. واعتبر أن الحكام المستبدين حاولوا حمل المسلمين على نسيان الأمر الثاني بتشجيعهم على التخلي عن الأمر الأول ، وأكد أن أعظم درس يمكن أن يستفيده أهل الشرق من الأوروبيين هو معرفة ما يجب أن تكون عليه الحكومة .

بين الديمقراطية والشورى

لقد حاول مفكرو القرن التاسع عشر - الذين تأثروا ولاشك بفكر وممارسة الديمقراطية الأوروبية - إثبات وجود تشابه بين الديمقراطية والمفهوم الإسلامي للشورى، وسعوا في مواجهة أزمة الحكم الخانقة والفساد والسلوك المستبد للحكام في العالم الإسلامي إلى تبرير اقتباس جوانب من النموذج الغربي اعتقدوا بتوافقها مع الإسلام وقدرتها على إخراج المجتمعات العربية من أزمتها السياسية. يرى الشيخ راشد الغنوشي بأن هؤلاء الرواد ابتداء من الطهطاوي ومروراً بخير الدين التونسي وانتهاء برشيد رضا لم يكن أحد منهم ليفكر قط في وضع الدين أو جزء منه موضع اتهام أو شبهة أو يستهدف تغييره أو تبديله، وإنما كان سعيهم يستهدف تجديد في فهم الدين وطرائق تطبيقه والاستناد إلى علماء مجددين قدامى ومحدثين لتبرير الاقتباس من الغرب على اعتبار أن الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها، وأن الدين إنما جاء لتحقيق مصالح العباد، وأنه حيث المصلحة فثم شرع الله .

«قطب» اتخذ موقفاً ضد محاولة التوفيق بين الإسلام والديمقراطية ، ودعا إلى الدكتاتورية التي تضمن حرية الصالحين فقط

الاستقلال والإرث الاستعماري

استثار الاستعمار شعوب المسلمين، فنهضوا ثائرين يناضلون لاستعادة الاستقلال. إلا أن زعامة الحركات التحررية - التي كان منشؤ كثير منها إسلامياً - آلت إلى النخب المتغربة التي تحولت فيما بعد إلى أنظمة مستبدة حلت محل المستعمر لتقوم نيابة عنه بكافة مهامه. ولذلك تعرض الإسلام، دينا وثقافة، خلال فترة ما بعد الاستقلال لهجوم شرس بأسم الحداثة والتحديث. فلقد حول الأزهر إلى جامعة علمانية وأغلقت أبواب جامعة الزيتونة في تونس، وأممت الأوقاف وحلت المحاكم الشرعية أو همش دورها تماماً ، وحظرت الأحزاب والتجمعات السياسية. ووجهت للإخوان المسلمين خلال الحقبة الناصرية ضربات متتالية تمخضت عن إعدام مجموعة من رموزها وسجن المئات من أعضائها ودفع ما تبقى منهم للفرار أو العمل السري.

وبذلك تغير نوع التحدي مرة أخرى، ولم يعد النضال من أجل الاستقلال هو المطروح، وإنما الكفاح لمقاومة الهجوم الشرس على الإسلام وعلى الهوية الثقافية للأمة لا من قبل المستعمر بل من قبل أنظمة الحكم التي سادت بعد الاستقلال. منذ ذلك الوقت وحتى مطلع السبعينيات كان الفكر السائد في أوساط الحركة الإسلامية هو فكر أبي الأعلى المودودي وأبي الحسن الندوي وسيد قطب.

منذ منتصف الخمسينيات أصبح سيد قطب (١٩٠٦-١٩٦٦)، الذي اعتقل عام ١٩٥٤ لعشر سنين ثم أعدم عام ١٩٦٦، المنظر الرئيس للإخوان المسلمين، وصار كتابه "معالم في الطريق" - الذي صنف رداً على بطش النظام الناصري بالإخوان - من أكثر الكتب انتشارا في العالمين العربي والإسلامي، وخاصة بعد هزيمة العرب في حرب عام ١٩٦٧. وضع قطب في هذا الكتاب نظريته حول الجاهلية التي جاء الإسلام لينقذ البشرية منها، فقسم الأنظمة الاجتماعية بناء على هذه النظرية إلى نوعين: النظام الإسلام والنظام الجاهلي. واعتبر هذا الأخير فاسداً من النوع الذي ساد في جزيرة العرب قبل الإسلام، والذي خضع الناس بموجبه لا لخالقهم وإنما للطواغيت. وجزم قطب بأن المجتمع الإسلامي نفسه ينقسم إلى قسمين: قسم إسلامي وآخر جاهلي، وبأن الجاهلية الآن لم تعد مقتصرة على الغرب الرأسمالي والشرق الشيوعي، بل وصلت عدواها إلى العالم الإسلامي. فتصورات الناس ومعتقداتهم وعاداتهم وتقاليدهم ومصادر ثقافتهم وفنونهم وآدابهم وقوانينهم، والفلسفة الإسلامية والفكر الإسلامي، صارت كلها حسب رأيه من صنع الجاهلية ويظنها كثير من الناس ثقافة إسلامية .

قطب والجاهلية

رغم تأثر سيد قطب بفكر المودودي حول قضية الجاهلية، إلا أنه خالفه فيما يتعلق بالديمقراطية. فقد كان المودودي يرى أن الإسلام بإرسائه مبدأ الشورى دين ديمقراطي، ولذلك فقد دعى - رغم تحفظه على الممارسة الغربية للديمقراطية الليبرالية - إلى إعطاء الديمقراطية فرصة لتتكيف وتنجح في البلدان الإسلامية . أما سيد قطب فاتخذ موقفاً حازماً ضد أي محاولة للتوفيق بين الإسلام والديمقراطية، وعارض بشدة وصف الإسلام بأنه ديمقراطي، ودعا إلى دكتاتورية عادلة تضمن الحريات السياسية للصالحين فقط. وكان يتساءل إذا كان نظام الحكم الديمقراطي قد أفلس في الغرب، فلماذا نستورده نحن في الشرق؟ مما لاشك فيه أن سيد قطب ومن تأثر بفكره انطلقوا في معالجتهم لموضوع الديمقراطية من موقع مناهض للغرب، ولا يخفى أن خطاباتهم لا تبدى أدنى اهتمام بأصل أو طبيعة أو تطور أو حتى تنوع الفكرة أو الممارسة الديمقراطية، وإنما يغلب عليها التنديد بسياسات ومسالك الحكومات الديمقراطية في الغرب التي كابد العرب والمسلمون بسبب سياساتها الخارجية وبسبب عدوانها على شعوب الأرض، وبالتالي فإن الموقف الرافض للديمقراطية لا يعدو كونه رد فعل.

في هذه الأثناء ظهرت مدرسة فكرية مختلفة في المغرب العربي تعود جذورها إلى ما أرساه خير الدين التونسي في القرن التاسع عشر من أفكار وما تركه محمد عبده من آثار بعد زيارته لتونس مرتين متتاليتين أقام خلالهما علاقات متينة مع عدد من المفكرين هناك وحثهم على تطوير جامع الزيتونة. كما تعود أيضا إلى أعلام من أمثال الشيخ عبد الحميد بن باديس أحد مؤسسي جمعية علماء الجزائر عام ١٩٣١، والثعالبي والطاهر الحداد وعلال الفاسي، ثم المفكر الجزائري مالك بن نبي (١٩٠٥-١٩٧٣)، الذي جمع بين الثقافتين الإسلامية والفرنسية وكان يرى أن نهضة أوروبا أفادت المسلمين من حيث أنها حفزتهم على القيام من غفلتهم وعلى البحث عن مخرج مما هم فيه من تخلف سبب به انعدام القدرة على التفكير وتردي المعنويات وفساد الخلق. ومن أهم المواضيع التي شغلت بن نبي وكتب وحاضر فيها قضايا الحضارة والثقافة والمفاهيم والاستشراق والديمقراطية.

مسئول

في محاضرة بعنوان الديمقراطية في الإسلام ألقاها في نادي الطلبة المغاربة عام ١٩٦٠، حاول بن نبي الإجابة على سؤال "هل في الإسلام ديمقراطية؟" مشيراً إلى أن تعريف مفهومي الإسلام و الديمقراطية بالطريقة التقليدية قد يؤدي إلى استنتاج عدم وجود علاقة بينهما من حيث التاريخ والجغرافيا، منبهاً في ذات الوقت إلى أن تفكيك المصطلح في معزل عن محموله التاريخي وإعادة تعريف الديمقراطية في أبسط أشكالها تحريراً من القيود اللغوية والأيديولوجية قد يوصل إلى استنتاج مختلف. ورأي أنه ينبغي النظر إلى الديمقراطية من ثلاث زوايا: الديمقراطية كشعور نحو ال- (أنا)، والديمقراطية كشعور نحو الآخرين، والديمقراطية كمجموعة من الشروط الاجتماعية والسياسية اللازمة لتكوين وتنمية هذا الشعور في الفرد. فهذه الشروط ليست من وضع الطبيعة ولا من مقتضيات النظام الطبيعي، على خلاف ما تتصوره الفلسفة الرومانتيكية في عهد جان جاك روسو، بل هي خلاصة ثقافة معينة وتتويج لحركة الإنسانيات وتقدير جديد لقيمة الإنسان، تقديره لنفسه وتقديره للآخرين. ثم لفت بن نبي النظر إلى أن أصول الديمقراطية الغربية بعيدة وبسيطة، وإلى أن الشعور الديمقراطي تكون ببطء قبل أن يتفجر بالتالي في التصريح بحقوق الإنسان والمواطن. ورأى في المحصلة أن الشعور الديمقراطي سواء في أوروبا أو في أي بلد آخر هو الحد الوسط بين طرفين يمثل كل واحد منهما نقيضاً للآخر، النقيض المعبر عن نفسية وشعور العبد المسكين من ناحية، والنقيض الذي يعبر عن نفسية وشعور المستعبد المستبد من ناحية أخرى. والإنسان الحر الذي تتمثل فيه قيم الديمقراطية والتزاماتها هو الحد الإيجابي بين نافية العبودية ونافية الاستعباد.

نموذج علماني

ورغم انتقاد بن نبي للنموذج العلماني من الديمقراطية وإبرازه لما فيه من سلبيات إلى أنه سعى إلى التأكيد على أن الإسلام بمعارضته الاستبداد وتحريره للإنسان فإنه ينمي الشعور الديمقراطي، ولذلك فإن بالإمكان التوصل إلى نظام ديمقراطي إسلامي يجمع محاسن الديمقراطية ويتجنب مثالب العلمانية. ورأى أن الجواب على سؤال هل توجد ديمقراطية في الإسلام لا يتعلق ضرورة بنص فقهي مستنبط من السنة والقرآن، بل يتعلق بجوهر الإسلام الذي لا يسوغ أن يعتبر مجرد دستور يعلن سيادة شعب معين، ويصرح بحقوق وحريات هذا الشعب، بل ينبغي أن يعتبر مشروعاً ديمقراطياً تفرزه الممارسة، وترى من خلاله موقع الإنسان المسلم من المجتمع الذي يكون محيطه بينما يسير في الطريق نحو تحقيق القيم والمثل الديمقراطية. ويخلص بن نبي إلى أن في الإسلام ديمقراطية، لا في الزمن الذي تحجرت فيه التقاليد الإسلامية وفقدت فيه إشعاعها، كما هو شأنها اليوم بصورة عامة، ولكن في زمن تخلقها ونموها في المجتمع .

لقد كان تحليل بن نبي ثورياً في زمنه لأن التوجه العام لدى منتسبي التيارات الإسلامية في العالم العربي كان لايزال متأثرا بأفكار سيد قطب وتلاميذه الذين اعتبروا الديمقراطية نقيضاً للإسلام دون بذل أدنى جهد لفهمها. ويمكن القول بأن مواقف الإسلاميين بدأت في التحيز نحو الديمقراطية والتعددية منذ أوائل الثمانينيات، لا بمعنى التبني المطلق وإنما بمعنى التمحيص والتمييز، وإدراك أن الديمقراطية شيء بالغ التعقيد لا يمكن بحال مقارنته بالإسلام واعتباره عقيدة نافية له أو نظام قيم مناقض لنظام قيمه. وقد كتب ونظر في هذا الأمر عدد كبير من المفكرين والعلماء.

أعلام

الإمام أبو حامد الغزالي

■ الإمام الغزالي هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن احمد الغزالي الطوسي ولد في مدينة طوس في خراسان في حدود عام ٤٥٠هـ.

نشأ الغزالي في طوس ودرس الفقه فيها ولازم امام الحرمين ابو المعالي الجويني في نيسابور، ثم اشتغل بالتدريس في المدرسة النظامية ببغداد التي دخلها سنة ٤٨٥هـ وحضره الأئمة الكبار كابن عقيل وابي الخطاب ثم ترك التدريس ولبس الخام الغليظ ولازم الصوم وكان لا يأكل إلاّ من أجرة النسخ ثم حج وبعدها رحل الى بيت المقدس ثم دمشق ثم بدأ في تصفيف كتابه المشهور «الاحياء».

من أشهر كتبه

احياء علوم الدين، المنقذ من الضلال، مقاصد الفلاسفة، تهافت الفلاسفة، محك النظر، ميزان العمل، الاقتصاد في الاعتقاد، المتصفي في علم أصول الفقه، الوسيط في المذهب، الوجيز في فقه الإمام الشافعي، فضائح الباطنية، القسطاس المستقيم، فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة، التبر المسبوك في نصيحة الملوك، ايها الولد المحب، كيمياء السعادة بالفارسية» شفاء الغليل في بيان الشبه والمخيل ومسالك التعليل، المنخول في علم الاصول، اضافة الى الكثير من الكتب في شتى العلوم.

توفي رحمه الله يوم الاثنين ١٤ جمادي الآخر ٥٠٥هـ في مدينة طوس ورسالته قبل موته كما ذكر بعض اصحابه: «عليك بالإخلاص» وقد رددها حتى مات.

فضل شهر رمضان

■ شهر رمضان شهر كريم خصه الله سبحانه وتعالى بعبادة عظيمة القدر.. عظيمة الأجر، فيه ليلة عظيمة، نزل فيها أشرف الملائكة على أشرف الخلق بأشرف كتاب.. قال تعالى: «انا انزلناه في ليلة القدر، وما أدراك ما ليلة القدر، ليلة القدر خير من ألف شهر، تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر، سلام هي حتى مطلع الفجر».

إن مقدار الأجر الذي قد يفوت الانسان في ترك صيام هذا الشهر كبير خاصة وانه سبحانه وتعالى قد من على الانسان في هذا الشهر بأسر ألد اعدائه «الشيطان» فيصبح البعد مقبلاً على النفس ولجمها فقد أوتيَ الخير كله، وان انتصرت عليه فقد حرم الخير كله.

واذا كان الصيام ركناً من أركان الاسلام فرضه الله على عباده وخص به نفسه بقوله: «الصوم لي، وأنا أجزي به» فإن للصيام أيضاً فوائد صحية جمة لأن صحة الانسان مطلب أساسي للقيام بما أمره به ربه على هذه الأرض، من عمارة وطلب العلم ورفع الظلم فإن للصوم فوائد متعددة، والله سبحانه قد جعل في الكثير من العبادات والفرائض وقاية وعلاج لكثير من الأمراض والعلل التي قد يصاب بها جسم الانسان.. فكانت لنا تلك الفرائض عبادة ووقاية.

واذا تأمل المرء فسيجد ان شهر رمضان هو نظام غذائي جديد يلتزم به الانسان طاعة ربه من غير صاد يمنعه عن فعل الخير غير النفس الأمارة بالسوء فإن زكى هذه النفس ولجمها فقد أوتيَ الخير كله، وان انتصرت عليه فقد حرم الخير كله.

المسلم كل سنة ويزداد تأمله اذا علم ان الانسان ليس وحده هو الذي يصوم بل ان الصوم موجود ايضاً في الحيوانات، حيث لاحظ العلماء ان كثيراً من الكائنات الحية تمر بفترة صوم اختيارية بالرغم من توافر الغذاء حولها، فمثلاً من الطيور ما يكمن في عشه ويمتنع عن الطعام في مواسم معينة من كل عام وبعض الاسماك يدفن نفسه في قاع المحيطات أو الانهار لفترة معينة بدون طعام.

اذاً فصيام شهر رمضان فرصة وقائية للانسان ففترة الصوم التي تمتد من بعد أذان الفجر وحتى أذان المغرب يعتمد فيها الجسم في طاقته وحاجته على السكريات، وعلى وجبة السحور إلاّ ان تلك الوجبة لا تستطيع توفير هذه الطاقة إلاّ لساعات معدودة بعدها يجد الجسم نفسه مضطراً للاعتماد على الطاقة وسكر الجلكوز في المواد السكرية والدهنية المخزونة في أنسجة الجسم وبهذه الطريقة يتم حرق السكر والدهون المخزونة وتخليص الجسم من السموم المتراكمة.

نتمنى أن يكون شهر رمضان الكريم فرصة حقيقية لتجديد الشباب وزيادة حيوية لعمل الخلايا وذلك لأن الصوم صحة للانسان.

فصوماً مقبولاً وكل عام وجميع المسلمين بألف خير.

أقوال

● المسلمون يمكنهم أن ينشروا حضارتهم في العالم الآن بنفس السرعة التي نشروها بها سابقاً، بشرط ان يرجعوا الى الاخلاق التي كانوا عليها حين قاموا بدورهم الأول، لأن هذا العالم الخاوي لا يستطيع الصمود أمام روح حضارتهم.

مرماديوك باكتول

* * *

● اذا اتحد المسلمون في امبراطورية عربية، أمكن لهم ان يصبحوا لعنة على العالم وخطراً أو أمكن ان يصبحوا ايضاً نعمة له، أما اذا بقوا متفرقين فإنهم يظلون حينئذ بلا وزن ولا تأثير.

المنصر: لورانس براون

● اذا اعطى المسلمون الحرية في العالم الاسلامي وعاشوا في ظل أنظمة ديمقراطية ، فإن الاسلام ينتصر في هذه البلاد، وبالديكتاتوريات وحدها، يمكن الحيلولة بين الشعوب الاسلامية ودينها.

المستشرق الامريكي/وك سميث

* * *

● لا يوجد مكان على سطح الأرض إلاّ واجتاز الاسلام حدوده وانتشر فيه، فهو الدين الوحيد الذي يميل الناس الى اعتناقه بشدة تفوق أي دين آخر.

هانوتو وزير خارجية فرنسا الأسبق

مكانة المرأة في الإسلام

■ رفع الاسلام مكانة المرأة واكرمها بما لم يكرمها به دين، فالنساء في الاسلام شقائق الرجال وخير الناس خيرهم لأهله.

ورغم محاولة بعض الغلاة الانتقاص من حقوقها إلاّ أن المشرع قد منحها كافة الحقوق والقى على عاتقها كافة الواجبات التي على الرجل.

فإذا كانت أماً وجب برها وهذا البر مقرون بحق الله.. وعقوقها والاساءة اليها مقرون بالشرك بالله والفساد في الأرض، وعند طفولتها هي قرة العين وثمرة الفؤاد لوالديها واخوتها، حتى اذا ما تزوجت كان ذلك بكلمة من الله وميثاقه الغليظ، فتكون في بيت زوجها في أعز جوار وامنع ذمار وعلى زوجها اكرامها والاحسان اليها.

أما اذا كانت جدة، زادت قيمتها عند أولادها واحفادها وجميع اقاربها ولا يكاد يُرد لها طلب.. واذا كانت خالة كانت بمنزلة الأم في الصلة.

وتاريخ المرأة منذ خلق الله الارض ومن عليها ناصع بالبياض فبلقيس واروى حكمن بلاد اليمن وكان حكمهن رخاءً وعدلاً وشورى وهذا الرسول الاكرم عليه الصلاة والسلام يشير الى عائشة رضي الله عنها ويقول: «خذوا نصف دينكم من هذه الحميراء»، وتلك الخنساء التي استشهد اربعة من ابنائها أمام عينها وهي تقول: «الحمد لله الذي شرفني باستشهادهم».

ان التاريخ الاسلامي زاخر بالنماذج النسائية اللاتي استطعن الاسهام في صياغة واقع هذه الامة لا يتسع المجال هنا لذكرهن ولكنه غيض من فيض من الادوار العظيمة التي اضطلعت بها المرأة المسلمة مهما حاول البعض الانتقاص من شأنها لأن الخالق جل وعلى- قد كرمها من عنده على لسان رسوله عندما رد على سؤال من جاء يسأله عما هو أولى الناس بصحابته فقال له: «أمك.. ثم أمك.. ثم أمك.. ثم أبيك».. فأي حديث يفتر به هؤلاء عن مكانة المرأة في الاسلام.. وأي قول يستطيعون قوله بعد قول من لا ينطق عن الهوى.

والمرأة أحد شطري النوع الانساني، قال تعالى: «وانه خلق الزوجين الذكر والانثى» فهي شقيقة الرجل من حيث الاصل والمنشأ تشترك معه في عمارة الكون، كل فيما يخصه، دون فرق بينهما.. في عموم الدين، في التوحيد والاعتقاد، والثواب والعقاب، وفي عموم التشريع في الحقوق والواجبات قال تعالى: «من عمل صالحاً من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيا حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون».

كما أنه لا يوجد تعبير أبلغ من قوله تعالى: «بعضكم من بعض» في قوله سبحانه وتعالى في سورة آل عمران: «فاستجاب لهم ربهم اني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو انثى بعضكم من بعض» أي أنهما سواء في معنى الانسانية وفي عموم الدين والتشريع وفي الميزان عند الله.

فهذا هو حكم الله وتشريعه في المرأة وأي قول بعد قول الله ورسوله، عن مكانة المرأة في الاسلام قولٌ مردود على أصحابه!!